

الجمعة : 6/1/2017م - 7 ربيع الثاني 1438

❖ تحدّثتُ في الحلقة الماضية عن بعض من حالات وشؤون الطهارة.. (قطعاً الحديث عن الطهارة هنا أخذ فيه الجانب الذي يرتبط بالصلاة، فليس البرنامج للحديث عن الطهارة بكلّ تفاصيلها ومعانيها).

تقدّم الحديث في جوانب من حالات وشؤون الطهارة في ثقافة [الكتاب والعترة]، وكما هو أسلوب في هذا البرنامج وسائر برامجي، أحاول أن أفرّ فراراً بعيداً عن كلّ ما يُبعدنا عن آل الله وعن كلّ ما يُقرّبنا إلى أعدائهم ومُخالفهم، وذلك هو أدنى وأقلّ واجباتنا.

❖ في هذه الحلقة سأنقل حديثي إلى (مراتب الطهارة).. طبعاً سأسلط الضوء على أهمّ المطالب، سأتناول الجوانب المهمة من مراتب الطهارة.

🌸 هناك مرتبة الطهارة المائيّة:

وقد مرّ علينا هذا الحديث لإمامنا صادق العترة في كتاب [مصباح لشرعية] - الباب 60: (إذا أردت الطهارة والوضوء فتقدّم إلى الماء تقدّمك إلى رحمة الله تعالى، فإنّ الله قد جعل الماء مفتاح قُربته ومناجاته، ودليلاً إلى بساط خدمته، وكما أنّ رحمة الله تُطهر ذنوب العباد كذلك النجاسات الظاهرة يُطهرها الماء لا غير، قال الله تعالى: {وهو الذي أرسل الرياح بُشراً بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً} وقال عزّ وجل: {وجعلنا من الماء كلّ شيء حي أفلا يؤمنون}، فكما أحيأ به كلّ شيء من نعيم الدنيا، كذلك برحمته وفضله جعل حياة القلب والطاعات والتفكّر في صفاء الماء ورقّته وطهره وبركته ولطيف امتزاجه بكلّ شيء واستعمله في تطهير الأعضاء التي أمرك الله بتطهيرها وتعبّدك بأدائها في فرائضه وسُننه، فإنّ تحت كلّ واحدة منها فوائد كثيرة، فإذا استعملتها بالحرمة - أي بالإجلال والإحترام - انفجرت لك عيون فوائده عن قريب، ثمّ عاشر خلق الله كامتزاج الماء بالأشياء، يُؤدّي كلّ شيء حقّه ولا يتغيّر عن معناه مُعبّراً لقول الرسول: «مثل المؤمن المُخلص كمثل الماء» ولتكن صفوتك مع الله تعالى في جميع طاعتك كصفوة الماء حين أنزله من السماء وسماه طهوراً، وطهر قلبك بالتقوى واليقين عند طهارة جوارحك بالماء).

● قول الرواية (فتقدّم إلى الماء) لأنّ الماء هو الصورة الدنيوية السائلة الطاهرة في هذا العالم الذي تنقلّب فيه.. صورة الرحمة الإلهية.

● قول الرواية (فإنّ الله قد جعل الماء مفتاح قُربته ومناجاته) هذا بملاحظة الطهارة المائيّة (فلا صلاة إلا بطهور) وهكذا سائر ما يرتبط بشؤون (الدعاء، المناجاة، التلاوة، الذكر...) فسائر شؤون الذكر والعبادة والمناجاة إما أن تكون مُشترطة فعلاً لا تتحقّق إلا بالوضوء والطهارة، وإما أن يكون الوضوء والطهارة سبباً مهمماً في كمالها وفضلها وعلوّ شأنها.

● قول الرواية (وكما أنّ رحمة الله تُطهر ذنوب العباد كذلك النجاسات الظاهرة يُطهرها الماء لا غير) هذه الكلمة مهمّة جداً.. قول الإمام يُطهرها الماء لا غير: لأنّ الماء هو صورة لأصل الطهارة.. فطهارة هذا الوجود بمحمّد وآل محمّد، بولايتهم، والماء صورة كونية رمزية لطهارتهم، وولايتهم، ورحمتهم.

نحنُ نُخاطب إمام زماننا في زيارته الشريفة في [مفاتيح الجنان]: (أشهد أنّ بولايتك تُقبل الأعمال، وتزكّي الأفعال -أي تُطهر -، وتُضاعف الحسنات، وتُمحى السيئات..) هذا هو العنوان الأسمى لرحمة الله.

فكما أنّ الذنوب لا يُطهرها إلا إمام زماننا صلوات الله عليه كذلك النجاسات الظاهرية يُطهرها الماء لا غير.

● هذا الحديث الذي تلوته على مسامعكم حديث الإمام الصادق في [مصباح الشريعة] يصنع جوّاً للمُتطهر للمتوضّئ، هذا الجو يجعله قريباً من معاني الرحمة الواسعة.. والرحمة الواسعة في ثقافة الكتاب والعترة عنوان مُباشر للحقيقة المُحمّدية المُطهرة.. وما الماء إلا مُصطلح جاء في أحاديثهم وكلماتهم الشريفة يُشير إلى هذه الحقيقة.

■ وقفة عند حديث إمامنا الصادق مع القاسم بن معاوية في [كتاب الاحتجاج] للطبرسي: (عن القاسم بن معاوية، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: هؤلاء يروون حديثاً في معراجهم أنّه لما أُسري برسول الله، رأى على العرش مكتوباً لا إله إلا الله، محمّد رسول الله أبو بكر الصديق، فقال: سبحان الله، غيروا كلّ شيء حتّى هذا؟ قلت: نعم، قال الإمام: إنّ الله عزّ وجلّ لما خلق العرش كتب عليه لا إله إلا الله محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين، ولما خلق الله الماء كتب في مجراه لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين، ولما خلق الله الكرسي كتب على قوائمه لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين...)

● قول الرواية (ولما خلق الله الماء كتب في مجراه) هذا الماء هو عنوان فيض الحقيقة المُحمّدية.. والحقيقة المُحمّدية هي الرحمة الواسعة، فالعرش هو الوجود الذي استوعب الكرسي، والكرسي هو الوجود الذي استوعب السماوات بما فيها الأرض قطعاً. إلى أن يقول عليه السلام:

(إذا قال أحدكم لا إله إلا الله محمد رسول الله فليقل علي أمير المؤمنين). وهذه صيغة أمر واضحة (فليقل) لا تحتاج إلى نقاش.

● قول الرواية (لما خلق العرش كتب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله علي أمير المؤمنين) والروايات الشريفة تُحدِّثنا عن العرش وأنه تجلَّى من نور محمد صلى الله عليه وآله وبعد ذلك تجلَّت كل الكائنات أنوارهم الشريفة.

بحسب هذه الرواية بعد أن خلق الله العرش، خلق الماء، والماء هذا - كما ذكرت - هو عنوان للفيض الصادر من الحقيقة المحمّدية.

■ قول إمامنا الصادق في حديثه في كتاب [مصباح الشريعة]: (إذا أردت الطهارة والوضوء فتقدّم إلى الماء تقدّمك إلى رحمة الله تعالى)

فكما بيّنت أنّ هذا الماء الطهور الذي في الدنيا هو الصورة المتجلية في العالم الديوي في عالم السوائل بمستوى الرمزية الكونية، فهناك صورة رمزية كما ورد في كلمات أهل البيت عليهم السلام أنّ في القرآن رموز قد عبّروا عنها بـ(العبرة، والإشارة، اللطائف، والحقائق) فالإشارة واللطفية هي رموز تتجاوز العبائر والألفاظ الظاهرة.. (الإشارة رموز لفظية، واللطائف رموز معنوية) فكما أنّ التشريع فيه رموز لفظية ورموز معنوية، كذلك هو التكوين فيه رموز، فالماء يرمز إلى الحقيقة المحمّدية، وهذا ما يُشير إليه الإمام الصادق عليه السلام: (إذا أردت الطهارة والوضوء فتقدّم إلى الماء تقدّمك إلى رحمة الله تعالى) فإنّ الله تعالى قد جعل الماء - بصورته الرمزية التكوينية - مفتاح قُربته ومناجاته، ودليلاً إلى بساط خدمته.. كما أنّ الرحمة الواسعة هي التي افتتحت فيها الوجود (إنّ رحمتي سبقت غضبي).. وقد عبّر في كلماتهم الشريفة أنّ (الماء سيّد الشراب في الدنيا والآخرة).

الماء الذي عبّر عنه في القرآن (وجعلنا من الماء كلّ شيء حيّ) هو هذا الماء الذي تتحدّث عنه كلمات الإمام الصادق في حديثه مع القاسم بن معاوية: (ولمّا خلق الله الماء كتب في مجراه لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي أمير المؤمنين) هذا هو ماء الحياة، ماء التكوين، ماء الوجود.. هذا هو الفيض الصادر من الحقيقة المحمّدية ومنه تكوّنت الأشياء.. وما من شيء إلا وفيه هذا المضمون (لا إله إلا الله محمد رسول الله علي أمير المؤمنين)

ولذا حين سألوا الإمام الصادق عليه السلام عن معنى الفطرة قال: (الفطرة لا إله إلا الله محمد رسول الله علي أمير المؤمنين) فلا أدري لماذا أذان وإقامة الشيعة والتشهد في صلاتهم خلاف الفطرة !! (سؤال عليهم أن يسألوه للعلماء والمراجع) فهذه فطرة التكوين بالشهادات الثلاث، فكيف لا تكون فطرة التشريع كذلك!؟

■ وقفة عند معنى الآية 30 من سور الملوك {قل أرايتم إن أصبح ماؤكم غوراً - أي ابتعد عنكم فلا تستطيعون الوصول إليه - فمن يأتيكم بماء معين} في [تفسير البرهان: ج8]، الرواية عن إمامنا موسى بن جعفر عليهما السلام: (قال: قلت: ما تأويل قول الله عزّ وجلّ: {قل أرايتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين} فقال: إذا فقدتم إمامكم فلم تروه فماذا تصنعون) فالإمام ماؤنا المعين.. هذا هو تأويل الآية.. والتأويل هو المعنى الحقيقي وليس المعنى الثانوي.

وهذا التعبير لو تتبّعته في الآيات القرآنية وكلماتهم الشريفة سيكون مكرراً ومتعدداً على طول الخط، وستأتينا شواهد أخرى من حديثهم صلوات الله عليهم. فالماء صورة كونية رمزية للحقيقة المحمّدية، وصورة كونية رمزية لولاية إمام زماننا عليه السلام.. الماء المعين في كلماتهم الشريفة فُسّر بالإمام المعصوم بإمام زماننا الحجّة بن الحسن صلوات الله عليه.

■ وقفة عند حديث إمامنا العسكري في تفسيره الشريف عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله في معنى الطهور الأعظم: (مفتاح الصلاة الطهور، وتحريمها التكبير...) إلى أن يقول: (وإنّ أعظم طهور الصلاة التي لا تُقبل الصلاة إلاّ به، ولا شيء من الطاعات مع فقده: موالاة محمد وأنته سيد المرسلين، وموالاة عليّ وأنته سيّد الوصيين، وموالاة أوليائهما، ومعاداة أعدائهما).

فولاية محمد وعليّ التي هي ولاية إمام زماننا عليه السلام هي أعظم طهور الصلاة، بل هي أعظم الطهور.. فالمتوضّئ والمتطهّر يتقدّم إلى الماء كتقدّمه إلى رحمة الله - كما يقول إمامنا الصادق عليه السلام - فكما أنّ رحمة الله تُطهّر الإنسان من الذنوب، كذلك هو الماء يُطهّر الإنسان من النجاسات على اختلاف مراتبها.

■ الصلاة كما قال إمامنا الباقر عليه السلام في حديثه مع سعد الخفاف: الصلاة تتكلم.. والقرآن عبّر عنها أنّها {تنهى عن الفحشاء والمنكر} والنهي كلام كما يقول إمامنا الباقر صلوات الله عليه.. فالصلاة كائن حيّ له جسد وله روح، جسده: طقوسه المشروطة بالطهارة المائية (لا صلاة إلا بطهور) هناك جسد للصلاة، هذا الجسد هو الحركات، الألفاظ، أحكام المكان والزمان، وغير ذلك.

● هناك مجموعة من القوانين مجموعة من الآداب والسُنن منها ما يرتبط بالمكان، بالزمان، منها ما يرتبط بالاتجاه الجغرافي، ومنها ما يرتبط بالحالة النفسية أو بالمظهر العام للمُصلي، ومنها ما يرتبط بالطقوس (من ركوع وسجود إلى غير ذلك)

مجموعة هذه الأجزاء تُشكّل جسد هذا الكائن.. أمّا روح هذا الكائن فهو الطهور الأعظم الذي أخبرنا عنه إمامنا العسكري عليه السلام في تفسيره الشريف من أنّ الطهور الأعظم لهذه الصلاة وسرّ قبولها هو (ولاية محمد وعليّ عليهما السلام) وإذا أردنا أن نُحقّق

ولاية محمد وعليّ على أرض الواقع فذلك يكون بتحقيق ولاية إمام زماننا الحجّة بن الحسن عليه السلام.. هذا هو الطهور الأعظم، وهذه هي روح الصلاة.

● نحن نقرأ في دعاء الندبة (أين المؤمل لإحياء الكتاب وحدوده، أين مُحيي معالم الدين وأهله) الصلاة لا تتقوم إلا بفاتحة الكتاب، وفاتحة الكتاب رمزٌ عبائري، هو على مستوى الإشارة واللطفية والحقيقة رمزٌ لخلاصة حقائق القرآن.. إنها (أمّ الكتاب) بحسب المستوى اللفظي، وإلا فهي في الحقيقة شيء آخر.. فالكتاب وحدود الكتاب مئة.. حياتها بروح الكتاب وبروح حدوده، ومن حدود هذا الكتاب : الصلاة.

● (أين مُحيي معالم الدين وأهله) معالم الدين مئة، والصلاة من معالم الدين، وأهل الدين موتى من دونك يا بقیة الله.. فكل شيء من دون ولايتك خواء خواء.. إمام زماننا هو عين الحياة وحقيقة الحياة ومنبعها.

مظاهر الحياة الحقيقية منبعها ومعناها إمام زماننا عليه السلام ولهذا الأئمة عليهم السلام يُسمون الجاهل بأنه ميت الأحياء، والقرآن يقول: {أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زُين للكافرين ما كانوا يعملون}. جعلنا له نوراً: جعلنا له ولاية ومعرفة بإمامه.

فالماء صورة رمزية للحقيقة المُحمّدية، والماء مظهر لولاية الإمام المعصوم صلوات الله عليه، وهو طهور للصلاة في بُنيته الجسدية (في أحكامها وطقوسها). فالحياة التي يتحدّث عنها داء الندبة الشريف، والحياة التي أُشير إليها في زيارة إمام زماننا عليه السلام (السلام عليك يا عين الحياة) هذه الحياة هي الطهور الأعظم.. كل شيء يعود إليهم، كل شيء يرتبط بهم صلوات الله عليهم.

❁ مرتبة أخرى من مراتب الطهارة: هي: الطهارة المالية.

والآية 103 من سورة التوبة هي من أفضل ما يُمكن أن يُشار إليه في الحديث عن الطهارة المالية، وهي قوله تعالى:

{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}

الصلاة هي الأخرى ترتبط بالطهارة، ولكن هناك صلاة منهم علينا، وهناك صلاة منّا عليهم، والآية هنا تتحدّث عن صلاتهم علينا قول الآية (إنّ صلاتك سكنٌ لهم) الحديث هنا عن السكن، عن السكينة هي أبعد من اقتصارها على المعنى النفسي.. الحديث هنا عن السكينة في حقائقنا. حينما لا تستقر حقائقنا لا يستقر الإيمان فيها.. لن يستقر الإيمان إلا بصلاة الإمام المعصوم علينا (إنّ صلاتك سكن لهم).

■ وقفة عند مقطع من زيارة إمامنا الرضا عليه السلام المعروفة بالزيارة الجوادية في كتاب [بحار الأنوار: ج99]:

(السلام على مُفتخر الأبرار، ونائي المزار، وشرط دخول الجنّة والنار، السلام على من لم يقطع الله عنهم صلواته في آناء الساعات، وبهم - أي آل محمد - سكنت السواكن، وتحركت المُتحرّكات..) هذه الباء في قوله (وبهم سكنت السواكن..) هي باء السببية.

● وفي زيارة سيّد الشهداء المُطلقة الأولى: (وبكم تُنزل السماء قطرها ورزقها، وبكم يكشف الله الكرب، وبكم يُنزل الله الغيث، وبكم تسبح الأرض التي تحمل أبدانكم..) هذا الماء الطهور صورته هم أنزلوه، وهم علّمونا كيف نستعمله، وصحة استعماله مشروط بولايتهم. وهذه العبائر المذكورة في الزيارة هي مصاديق لقانون، لقاعدة.. سمي ما شئت.. هذه القاعدة هي التي نقرأها في زيارة الندبة حين نُسلم على إمام زماننا ونقول: (فما شيء منّا إلا وأنتم له السبب وإليه السبيل).

● (وبكم تسبح الأرض التي تحمل أبدانكم) الأرض تستعين بكم في تسبيحها {إياك نعبد وإياك نستعين}

● (وبقدرتك التي استطلت بها على كل شيء) هذه القدرة تتجلّى فيهم، كما نقول في الزيارة الجامعة الكبيرة (وذلّ كل شيء لكم)، (بكم فتح الله وبكم يختم) هم البداية وهم النهاية.

● {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} فهذه أموال عبّر عنها بالصدقة.. إذا ما أخذتها أنت يا بقیة الله فإنك تُطهرهم وتزكّيهم، أمّا إذا أخذها أحد آخر فهذا المعنى لا يترتب.. هم صلوات الله عليهم الذين يُطهرونا ويُزكّوننا إذا أخذوا من أموالنا صدقة. الطهارة المالية كما تتحقق بصلاتهم علينا حين ندفع الأموال المفروضة علينا.. فهناك شأن آخر للتطهير والتطبيب وهو حينما يُبيحون لنا ما يجب علينا أن ندفعه.. كما جاء في توقيع إمام زماننا عليه السلام لاسحاق بن يعقوب (وأما الخمس فقد أُبيح لشيعتنا وجعلوا منه في حلّ)

الخمس في أصله واجب، ولكن الإمام أباحه هنا وجعل الإباحة في أجواء تطهيرنا.. نحن مأمورون بالتسليم، وهذا هو التسليم الأئمة مرّة يأمرونا أن ندفع كي نتطهر.. وأخرى أن لا ندفع لكي نتطهر (وهذا هو التسليم).

❁ ملاحظة: لا يشتبه عليك أيها الشيعي أنّ الخمس لا يُقال له صدقة.. هكذا تُقِفَت بحسب ثقافة النواصب التي تأثر بها علماؤنا، فالنواصب لا يُسمون الخمس صدقة، ولكن في ثقافة أهل البيت الخمس من ضمن الصدقات، وكلماتهم الشريفة تُشير إلى ذلك.

■ وقفة عند حديث إمامنا الصادق عليه السلام في [وسائل الشيعة: ج6]: {إِنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِمَا حَرَّمَ عَلَيْنَا الصَّدَقَةَ أَنْزَلَ لَنَا الْخُمْسَ، فَالْصَّدَقَةُ عَلَيْنَا حَرَامٌ، وَالْخُمْسُ لَنَا فَرِيضَةٌ، وَالْكَرَامَةُ لَنَا حَلَالٌ}

هنا الكلام بلحاظ الزكاة فاستعمل المصطلح هنا في الزكاة.. ولكن بنحو عام استعمل أيضاً مُصْلِح الصَّدَقَةِ فِي الْخُمْسِ كَمَا فِي حَدِيثِ إِمَامِنَا الْجَوَادِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي [وسائل الشيعة: ج6] فِي كِتَابِهِ الَّذِي كَتَبَهُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ مَهْزِيَارٍ، الْإِمَامِ يَأْتِي بآيَةٍ {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً..} فِي سِيَاقِ الْحَدِيثِ عَنِ الْخُمْسِ.. تَقُولُ الرَّوَايَةُ:

(..وَسَأْفَسَّرَ لَكَ بَعْضُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، إِنَّ مَوَالِيَّ - أَسْأَلُ اللَّهَ صَلَاحَهُمْ أَوْ بَعْضَهُمْ - قَصَّرُوا فِيمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَعَلِمْتُ ذَلِكَ فَأُحِبُّ أَنْ أُطَهِّرَهُمْ وَأُزَكِّيَهُمْ بِمَا فَعَلْتُ مِنْ أَمْرِ الْخُمْسِ فِي عَامِي هَذَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا..})

فَالْإِمَامُ هُنَا جَاءَ بِالآيَةِ فِي سِيَاقِ حَدِيثِهِ عَنِ الْخُمْسِ.. فَالآيَةُ هُنَا تَتَنَاوَلُ (الْخُمْسَ) وَسَائِرَ مَا يَجِبُ أَنْ يُدْفَعَ.

■ موطن آخر من مواطن استعمال مُصْطَلِح (الصَّدَقَةِ) فِي الْحَدِيثِ عَنِ الْخُمْسِ:

(وقفة عند حديث آخر في [وسائل الشيعة: ج6] لإمامنا الصادق عليه السلام قال: أتى رجل أمير المؤمنين عليه السلام فقال: إني كسبتُ مالاَ أغمضتُ في مطالبه حلالاً وحراماً، وقد أردتُ التوبةَ ولا أدري الحلال منه والحرام وقد اختلط عليّ، فقال أمير المؤمنين: تصدّقْ بِخُمْسِ مَالِكَ..) الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ (تَصَدَّقْ بِخُمْسِ مَالِكَ) يَعْنِي أَنَّ الْخُمْسَ صَدَقَةٌ، حِينَ يُوجِبُهُ الْمَعْصُومُ تَنْطَبِقُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيَهُمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ}. وَحِينَ يُبَيِّحُهُ يَكُونُ سَبَباً لِلتَّطَهُّرِ وَالتَّطَيُّبِ أَيْضاً.. كَمَا فِي قَوْلِ إِمَامِ زَمَانِنَا: (وَأَمَّا الْخُمْسُ فَقَدْ أُبِيحَ لِشَيْعَتِنَا وَجُعِلُوا مِنْهُ فِي حَلِّ لِتَطْيَبِ وَوَلَادَتِهِمْ وَلَا تَخْبَتِ..)

■ نحن عندنا قاعدة في ثقافة أهل البيت عليهم السلام، وهي: أَنْ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى وَيُتَقَرَّبَ إِلَيْهِ فِي رُخْصَةٍ كَمَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى وَيُتَقَرَّبَ إِلَيْهِ فِي عَزَائِمِهِ - الْعَزَائِمُ هِيَ الْوَأَجِبَاتُ -، وَالرُّخْصَةُ مِثْلُ: إِبَاحَةِ الْخُمْسِ.

■ مثال على تأكيد الأئمة على الالتزام بالرخص:

وقفة عند مقطع من رواية لإمامنا الصادق عليه السلام في [تفسير العياشي: ج2] تقول الرواية: (فقال بعضنا: مدُّ الرقاب أحبُّ إليك أم البراءة من علي؟ فقال: الرخصة أحبُّ إليّ، أما سمعت قول الله في عَمَارٍ {إِلَّا مَنْ أكره وقلبه مطمئن بالإيمان}).

■ رواية أخرى عن إمامنا الصادق عليه السلام في [تفسير العياشي: ج2]: (عن عبد الله بن عجلان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته فقلتُ له: إِنَّ الضَّحَّاكَ قَدْ ظَهَرَ بِالْكَوْفَةِ وَيُوشِكُ أَنْ تُدْعَى إِلَى الْبِرَاءَةِ مِنْ عَلِيٍّ فَكَيْفَ نَصْنَعُ؟ قَالَ: فَابْرَأْ مِنْهُ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَمْضُونَ عَلَيَّ مَا مَضَى عَلَيْهِ عَمَارُ بْنُ يَاسِرٍ أَخَذَ مَهْمَكَةً فَقَالُوا لَهُ: اِبْرَأْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَبَرَأَ مِنْهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عِزَّهُ {إِلَّا مَنْ أكره وقلبه مطمئن بالإيمان}).

فَكَمَا أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى بِعَزَائِمِهِ كَذَلِكَ يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى بِرُخْصَةٍ.. يَعْنِي أَنَّ التَّطَهُّرَ يَحْصُلُ بِالْعَزَائِمِ حِينَ نَأْتِي بِهَا كَمَا فِي الْآيَةِ (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً..) وَيَحْصُلُ التَّطَهُّرُ أَيْضاً حِينَ نَلْتَزِمُ بِرُخْصَةِ الْمَعْصُومِ كَمَا فِي إِبَاحَةِ الْخُمْسِ.. فَالتَّطَهُّرُ يَتَحَقَّقُ فِي الْإِتِّمَارِ بِالْعَزَائِمِ وَتَتَحَقَّقُ بِالْإِتِّمَارِ بِالرُّخْصَةِ أَيْضاً.

❁ أَيْضاً مِنْ مَرَاتِبِ الطَّهَارَةِ: الطَّهَارَةُ الْعِلْمِيَّةُ

فَإِنَّ الْجَهْلَ مِنْ أَوْسَخِ النَّجَاسَاتِ.. وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: {يَمَّا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ} أَوَّلُ الرِّجْسِ: الْجَهْلُ.. وَلِذَلِكَ حِينَ خَلَقَ اللَّهُ أَهْلَ الْبَيْتِ خَلَقَهُمْ مِنْ عِلْمِهِ، خَلَقَهُمْ عُلَمَاءَ (تَجَلَّى عِلْمُهُ فِيهِمْ).

■ وقفة عند حديث الإمام الرضا عليه السلام مع الوشاء في [الكافي الشريف: ج1] والذي يتحدث عن الطهارة العلميّة: (عن الوشاء قال: سألتُ الرضا عليه السلام فقلتُ له: جعلتُ فداك {فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون}؟ فقال: نحن أهل الذكر ونحن المسؤولون، قلتُ: فأنتم المسؤولون ونحن السائلون؟ قال: نعم، قلتُ: حقاً علينا أن نسألكم؟ قال: نعم، قلتُ: حقاً عليكم أن تُجيبونا؟ قال: لا. ذاك إيلينا، إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل، أما تسمع قول الله تبارك وتعالى: {هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب}. هذه طهارة علمية مثل الطهارة المالية.. فحين يُجيب الإمام ذلك يكون سبباً للطهارة من الجهل، وحين لا يُجيب الإمام فقطعاً في ذلك حكمة ومنفعة كبيرة في ذلك، فالإمام يتحدث بمشبهة الحكمة.

■ وقفة عند مقطع من الحديث الرضوي في [الكافي الشريف: ج1] في وصف الإمام المعصوم: (الإمام الماء العذب على الظمأ... الإمام السحاب المطار، والغيث الهاطل.. والعين الغزيرة، والغدير والروضة، الإمام الأنيس الرفيق، والوالد الشفيق، والأخ الشقيق، والام البرة بالولد الصغير..). هذا ما قلته بنحو واضح من أن الماء يُشير بنحو واضح ورمزي إليهم..

الماء إمام زماننا (بكم تُنزل السماء قطرها، بكم يُنزل الله الغيث) والروضة هي الحدائق الغناء التي تجري الأنهار خلالها.

■ إلى أن يقول الإمام عليه السلام: (فَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْلُغُ مَعْرِفَةَ الْإِمَامِ، أَوْ يُكِنُّهُ اخْتِيَارَهُ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، ضَلَّتْ الْعُقُولُ، وَتَاهَتْ الْحُلُومُ، وَحَارَتِ الْأَبَابُ، وَخَسِنَتِ الْعَيُونُ وَتَصَاغَرَتِ الْعِظْمَاءُ، وَتَحَيَّرَتِ الْحُكْمَاءُ، وَتَقَاصَرَتِ الْخُلَمَاءُ، وَحَصُرَتِ الْخُطَبَاءُ، وَجَهَلَتِ الْأَبْنَاءُ، وَكَلَّتِ الشَّعْرَاءُ، وَعَجَزَتِ الْأَدْبَاءُ، وَعَيَّيَتِ الْبُلْغَاءُ، عَنِ وَصْفِ شَأْنٍ مِنْ شَأْنِهِ أَوْ فَضِيلَةٍ مِنْ فَضَائِلِهِ، وَأَقْرَبَتْ بِالْعِزِّ وَالنَّقْصِيرِ، وَكَيْفَ يُوصَفُ بِكُلِّهِ، أَوْ يُبْعَثَ بِكُنْهِهِ، أَوْ يُفْهَمَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِ، أَوْ يُوجَدُ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ وَيُعْنِي غِنَاهُ، لَا كَيْفَ وَأَتَى؟ وَهُوَ بِحَيْثِ النُّجْمِ مِنْ يَدِ الْمُتَنَاوِلِينَ، وَوَصْفِ الْوَاصِفِينَ، فَأَيْنَ الْاِخْتِيَارِ مِنْ هَذَا؟ وَأَيْنَ الْعُقُولِ عَنْ هَذَا؟ وَأَيْنَ يَوْجَدُ مِثْلَ هَذَا؟! أَتَنْظُرُونَ أَنَّ ذَلِكَ يَوْجَدُ فِي غَيْرِ آلِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ..)

■ وقفة عند كلمة سيّد الأوصياء في [الكافي الشريف: ج1]: (ولا سواءً حيث ذهب الناس إلى عيون كدره - نجسة - يفرغ بعضها في بعض، وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر ربها، لا نفاذ لها ولا انقطاع) طهارة مائية وطهارة مالية وطهارة علمية.. هؤلاء هم أهل البيت عليهم السلام معدن الطهارة كلها الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.. فهناك عيون كدره قذرة، وهناك عيون صافية.. ابحثوا عن ثقافتكم هل هي ثقافة طاهرة.. ابحثوا عن أصولها؛ لأنّ إمام زماننا وضع لنا قانون هام يقول: (طلب المعارف من غير طريقنا أهل البيت مُساوق لإنكارنا) مُساوقٌ يعني مُساوي.. والإمام الباقر عليه السلام يقول: (مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الصَّلَاةَ فَقَدْ أَنْكَرَ حَقَّنَا).

فهل ثقافة صلاتكم وثقافة وضوئكم مبنية على المعرفة التي هي من طريق أهل البيت عليهم السلام؟ أم من طريق أعدائهم؟! هناك عيون صافية تنبع بالماء الطهور (في بعده الحسي، في بعده العلمي، في بعده المعنوي) فالماء الطهور لا تكتمل طهارته من دون ولاء علي صلوات الله عليه.

● مرّ الحديث أولاً في مرتبة الطهارة المائية، ثمّ الطهارة المالية، ثمّ العلمية.. والمرتبة الرابعة التي سنتحدث عنها هي الطهارة المعنوية علماً أنّ المراتب لا تنتهي عند هذا الحد.

❁ وقفة عند مرتبة الطهارة المعنوية.

مرّ علينا في الآية 103 من سورة التوبة {وصلّ عليهم إن صلاتك سكنّ لهم} هذه الصلاة منهم علينا وإلينا.. أما الحديث في هذه المرتبة من مراتب الطهارة وهي (الطهارة المعنوية) فالحديث سيكون في صور ومظاهر مختلفة أولها: عن صلاتنا نحن عليهم. فالطهارة المعنوية لها مظاهر وصور ودرجات.. ومن مظاهر الطهارة المعنوية (صلاتنا عليهم) حينما نُصلي على آل محمد فنحن نتطهر.

■ في الزيارة الجامعة الكبيرة: (وجعل صلاتنا عليكم وماخصنا به من ولايتكم طيباً لخلقنا وطهارةً لأنفسنا وتزكية لنا وكفارة لذنوبنا) ألا تلاحظون أنّ المعاني جميعاً تلتقي في نقطة واحدة اسمها: الحجة بن الحسن؟

■ وفي زيارة أئمة البقيع صلوات الله عليهم نقرأ: (وجعل صلاتنا عليكم رحمة لنا وكفارة لذنوبنا إذ اختاركم الله لنا، وطيب خلقنا بما منّ علينا من ولايتكم).. هم معدن الرحمة.. وهو المضمون الموجود في كلام الإمام الصادق عليه السلام في مصباح الشريعة: (تقدّم إلى الماء تقدّمك إلى رحمة الله تعالى)

مَنْ يَبْحَثُ عَنِ الطَّهَارَةِ وَالتَّطَهُّرِ، مَنْ يَبْحَثُ عَنِ النِّقَاءِ وَالصِّفَاءِ، فَإِنَّ الْعَلَائِمَ الْمُرُورِيَةَ كُلَّهَا تُشِيرُ بِاتِّجَاهِ عَيْنِ الْحَيَاةِ وَمَعْدَنِ الطَّهَارَةِ، بِاتِّجَاهِ إِمَامِ زَمَانِنَا.. فَأَيُّ نِعْمَةٍ نَحْنُ فِيهَا؟ وَأَيُّ فَضْلٍ وَأَيُّ مِنَّةٍ مَنْ بَهَا عَلَيْنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟ هَذِهِ مِنْ مُحَمَّدٍ، هَذَا عَطَاءُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

هذه مرتبة من مراتب الطهارة حين نُصلي على محمد (يعني نُصلي على محمد وآل محمد).. فالصلاة في أصلها على محمد وآل محمد.. لأنّ الذي يبتر آل محمد فإنّه يبتر فاطمة.

❁ الصلاة البتراء لها دلالات ومعاني، وهي على نحوين:

1- الصلاة البتراء في المستوى اللفظي هو ما يفعله النواصب.

2- والصلاة البتراء معنويّاً هي ما يقوم به الشيعة حينما يُصلون على محمد وآل محمد بحسب الموازين والمقاييس الناصبية ويعتقدون أنّنا بصلاتنا عليهم نُضيف إليهم شيئاً.

❁ صورة أخرى من صور ومظاهر الطهارة والتطهر، هي: الطهارة الحسينية.. وهنا سأشير إليها بالمُجمل فقط.

■ وقفة عند زيارة سيّد الشهداء التي تُقرأ في أوّل رجب، وفي النصف من رجب وفي النصف من شعبان.. نُخاطب سيّد الشهداء عليه السلام ونقول: (أشهد أنّك طهرٌ طاهر مطهرٌ، من طهر طاهر مُطهرٌ، طهرت وطهرت بك البلاد، وطهرت أرض أنت فيها، وطهر حرمك)

● قول الزيارة (وطهرت بك البلاد) المراد هنا الأرض وما عليها من بشر ممّن ينتمون إلى منظومة الطهارة الحسينية قطعاً.

● قول الزيارة (وطهر حرمك) هذه درجة من درجات الطهارة.. المكان الأقرب بالمستوى الحسي إلى الحسين هو الأطهر، هذه هي المرتبة الأعلى في الطهارة.

ولذا نحن نخاطب أنصار سيّد الشهداء الذين قدّموا أنفسهم قَرَابِينَ بين يديه فنقول: (السلام عليكم يا طاهرين من الدنس) هؤلاء تطهروا مادياً ومعنوياً.. (مادياً هم في حرم الحسين، ومعنوياً هم أقرب الناس إلى الحسين) أصحاب الحسين طهروا وطهروا وطهروا لأنهم ارتبطوا ارتباطاً وثيقاً بمنظومة الطهارة الحسينية.

■ الطهارة الحسينية رحمة أخرى من رحمة محمد، هي طهارة قانونها يختلف عن سائر قوانين ومراتب الطهارات الأخرى، ولكنها في سياق الطهارة المعنوية.. ومرّ الحديث عن الطهور الأعظم (ولاية محمد وعلي) وهذه الطهارة كما أشرت تتجلى في إمام زماننا.. فهذه هي الطهارة المعنوية.

❖ الطهارة الأم هي: الطهارة الزهرائية

بعد التطهر بالصلاة على محمد وآل محمد، هناك الطهارة الحسينية وهناك الطهارة المهديّة، وهناك الطهارة الأم وهي الطهارة الزهرائية كم نقرأ في زيارتها الشريفة: (وزعمنا أنا لك أولياء ومصدقون وصابرون لكل ما أتانا به أبوك وأتانا به وصيه صلى الله عليهما وآلهما فإذا نسألك إن كنا صدقناك إلا ألحقنا بتصدقنا لهما لنُبشّر أنفسنا بأننا قد طهرنا بولايتك) سطران في غاية الأهمية هذان السطران.. هذا هو الطهور الأعظم الذي مرّ الحديث عنه في تفسير الإمام العسكري.. هذا هو الولاية المهديّة، تحتاج إلى إمضاء من فاطمة.. هذه هي القيمومة، فاطمة القيمة.

■ **أقول للزهرائين فقط: حين أقول (يا زهراء) إنّي أقول هذه الكلمة كي أجعلها عنواناً لتطهير ما أقول، لتطهير عقلي، لتطهير قلبي..** الطهارة الأصل والطهارة الأم هي هذه.

لا تستصغروا هذه الكلمة.. فإنّ الكلمة في ديننا تُحلّل وتُحرّم (كما في صيغة عقد الزواج، وصيغة الطلاق)، الكلمة تنقل الملكية (كما في صيغ عقود البيع) والكلمة تُخرج من الجنّة وتخرج من النار.. لذا مرّ علينا في الأحاديث الشريفة (إذا ذكرت اسم الله على وضوئك طهر جسدك كلّ..)

فحين أقول (يا زهراء) هذا هو عنوان الطهارة الأم.

■ فهذه أهم مراتب الطهارة المعنوية:

1- طهارتنا بالصلاة عليهم (الصلاة عليهم هو ارتباط بهم، وإعلان عن مودّتنا، إعلان عن ولايتنا) بشرط أن نُصلي عليهم بمعرفة مأخوذة من العين الصافية الطاهرة من طريق آل محمد صلوات الله عليهم..

2- أمّا الطهارة الحسينية فذلك شأن آخر ولكنها مرتبة من مراتب الطهارة المعنوية.

3- والطهارة المهديّة هي أساس الدين، من دونها لا توجد طهارة حُسينية ولا توجد طهارة الصلاة على محمد وآل محمد، هي الطهور الأعظم.

4- والطهارة الزهرائية هي الطهارة الأم.